مادة المعجم العربي

المحاضرة التاسعة:

معجم اساس البلاغة:

**نبذة تعريفيّة عن المؤلّف:**

ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر [الخوارزمي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D9%8A%D9%88%D8%A9) الزمخشري.من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في [زَمَخْشَر](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%85%D8%AE%D8%B4%D8%B1) يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر [رجب](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D8%AC%D8%A8) سنة [467 هـ](https://ar.wikipedia.org/wiki/467_%D9%87%D9%80) / [1074](https://ar.wikipedia.org/wiki/1074) م في [تركمانستان](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%85%D8%A7%D9%86%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86) ،وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بـ(جار الله)، وتوفي ليلة [عرفة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%A8%D9%84_%D8%B9%D8%B1%D9%81%D8%A9) سنة [538 هـ](https://ar.wikipedia.org/wiki/538_%D9%87%D9%80) / [1143](https://ar.wikipedia.org/wiki/1143) م في جرجانية [خوارزم](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D9%8A%D9%88%D8%A9)، بعد رجوعه من [مكة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%83%D8%A9). يقول السمعاني في ترجمته: »برع في الآداب، وصنف التصانيف، وَرَدَ [العراق](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82) [وخراسان](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A8%D8%B1%D9%89)، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتتلمذوا له، وكان علامة نسابة«.

**اعتزاله:**

كان الزمخشري [معتزلياً](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%AA%D8%B2%D9%84%D8%A9) في الأصول( [العقيدة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%82%D9%8A%D8%AF%D8%A9_%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9))، [حنفياً](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D9%86%D9%81%D9%8A%D8%A9) في الفروع ([الفقه](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%82%D9%87_%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A))، وكان يجاهر بمذهبه ([الاعتزال](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%AA%D8%B2%D9%84%D8%A9))، ويدونه في كتبه، ويصرح به في مجالسه. وكان إذا قصد صاحباً له استأذن عليه في الدخول ويقول لمن يأخذ له الإذن: قل له: أبو القاسم [المعتزلي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%AA%D8%B2%D9%84%D8%A9) بالباب. وقد بذل الزمخشري مجهوداً كبيراً في [تفسيره](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B4%D8%A7%D9%81_(%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1)) في سبيل تفسير الآيات القرآنية على مقتضى مذهب الاعتزال وأصوله الخمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**ثناء العلماء عليه:**

و قد اشتهر الزمخشري في عصره، ومدحه الشعراء والأدباء، وطلب العلماء أن يعطيهم الإجازة في رواية كتبه. ومن لطيف ذلك أن الحافظ [أبا الطاهر السِلَفي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%B7%D8%A7%D9%87%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D9%81%D9%8A) كتب إليه من [الإسكندرية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%83%D9%86%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%A9) يستجيزه، وكان الزمخشري مجاوراً [بمكة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%83%D8%A9)، فكتب إليه جواباً طويلاً يقول في مطلعه: ((ما مثلي مع أعلام العلماء إلا كمثل السُّها (نجم صغير) مع مصابيح السماء.. والجهام الصُفر والرّهام (المطر الخفيف) مع الغوادي (المطر الغزير) الغامرة للقيعان والآكام، والسُّكيت المخلَّف مع خيل السباق، والبُغاث (طائر صغير) مع الطير العَناق.. وما التلقيب بالعلامة، إلا شبه الرقم بالعلامة.. والعلم مدينة أحد بابيها الدراية، والثاني الرواية، وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة، ظلي فيها أقلص من ظلّ حصاة، أما الرواية فحديثة الميلاد، قريبة الإسناد، لم تستند إلى علماء نحرير ولا إلى أعلام مشاهير، وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواهاً، وبرض (الماء القليل) ما يبلّ شفاهاً.. ولا يغرنّكم قول فلان وفلان في.. (و عدد قوماً من الشعراء والأدباء)؛ فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموِّه، وجهل بالباطن المشوَّه..)).

ويظهر في هذا المقطع جزالة ألفاظ الزمخشري ورقي لغته، كما يظهر مدى تواضعه وبعده عن الاعتداد بالنفس.

ذكر التاج الكندي أنه رأى الزمخشري على باب الإمام [أبي منصور بن الجواليقي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%82%D9%8A). وقال الكمال الأنباري لما قدم الزمخشري للحج، أتاه شيخنا أبو السعادات بن الشجري مهنئا بقدومه، قائلاً:

كانَتْ مُسَاءَلَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنِي

عنْ أحمدَ بنِ عليٍّ أطيبَ الخَـبرِ

حتّى التَقَيْنَا فلا واللهِ مـا سَمِعَتْ

أُذْنِي بأحْسـَنَ مِمَّا قَدْ رَأَي بَصَـرِي

**مؤلفاته**:

الزمخشري إمام كبير في [الحديث](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%88%D9%8A)، [والتفسير](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1)، [والنحو](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AD%D9%88)، [والبلاغة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%BA%D8%A9). وصاحب تآليف عظيمة في كل ذلك، وجاء في دائرة المعارف البريطانية: رغم أن الزمخشري كان فارسياً إلا أنه كان يفضل اللغة العربية، وألف فيها تآليف غنية في اللغة [والبلاغة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%BA%D8%A9)، ورغم أن بعض أعماله بالفارسية، إلا أنّه كان من المؤمنين بتفوق اللغة العربية ومن المعارضين للشعوبية. ومن مؤلفاته في اللغة: [أساس البلاغة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%BA%D8%A9)، والمستقصى في الأمثال، والفائق في غريب الحديث، ومقدمة الأدب وهو قاموس من العربية للفارسية، والقسطاس في علم العروض.

* في [النحو](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AD%D9%88): [المفصل في صنعة الإعراب](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D8%B5%D9%84_%D9%81%D9%8A_%D8%B5%D9%86%D8%B9%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%A8)، والأنموذج، والمفرد المؤلف.
* في [الحديث](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB_%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%88%D9%8A): مشتبه أسامي الرواة.
* في [التفسير](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%84%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1): تفسير [الكشاف](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B4%D8%A7%D9%81_(%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1)) المشهور.
* في [الفقه](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%82%D9%87_%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A): الرائض في علم الفرائض.
* في [الزهد](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%87%D8%AF_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85): أطواق الذهب في المواعظ، وكتاب النصائح.
* في [الجغرافيا](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A7): كتاب الامكنه والجبال والمياه.
* في [الأدب](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D8%A8) : له مقامات يطلق عليها مقامات الزمخشري: تتكون من مقدمة، وخطبة، وخمسين مقالة. في المقدمة قدم نصائح لمن يتناول الكتاب بالتأني في قراءته والوقوف علي كل لفظ وتفهم المعاني الواردة. كما نصح بألا يقدم الكتاب إلا لعالم أو متدين أو أديب. كذلك طلب ممن يريد نسخ الكتاب أن ينسخه بخط جيد وأن يضع عليه اسم المؤلف كما طلب الدعاء له بالرحمة والرضوان.

وفي الخطبة صنع مدخلا للمقامات وجعلها أساسها هو نصيحة نفسه وذلك عندما أصابه مرض في شهر رجب سنة 512 هـ فأخذ عهدا علي نفسه إن شفاه الله من المرض، أن يسلك مسلك الجد وأن يبتعد عن السلاطين والأمراء ويقلع عن مدحهم والتماس العطايا منهم، وفي آخر الخطبة أخذ العهد علي نفسه أن يتعلم علوم القرآن والحديث والعلوم الشرعية. أما المقامات فقد نوع موضوعاتها بين الحكمة والوصايا والأدب والتاريخ

إلى غير ذلك من الكتب القيمة.. وأشهر كتبه على الإطلاق هما: تفسير [الكشاف](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B4%D8%A7%D9%81_(%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1))، وأساس البلاغة.

**طريقة التأليف المتّبعة:**

اتّبع الزمخشريّ في تأليفه معجم (أساس البلاغة) طريقة الترتيب الألفبائية، وقيلَ إنّ أول من اتّبع هذه الطريقة هو أحمد بن فارس في مجمل اللغة ومقاييس اللغة وتبعه الزمخشريّ في أساس البلاغة ، إذ راعى ترتيب أوائل أصول الكلمات ، فكان يبدأ بالحرف الأول في الكلمة مراعياً الحرف الثاني ثم الثالث فالرابع الخ… ويبدأ كل حرف بالهمزة، ثم الباء، ثم التاء إلى الياء ، وهكذا مع كل الحروف.

## منهج الزمخشري في عرض الجذور في أساس البلاغة:

يعد معجم أساس البلاغة لجار الله الزمخشري (ت 538هـ) من معاجم الألفاظ التي تمتاز بعرض المواد أو الجذور (Roots) حسب الترتيب الألفبائي؛ (أ - ب - ت - ث - ...). كما يمتاز - عكس صحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ) - بتناول هذه الجذور وعرضها، حسب الحرف الأول في كل جذر. حيث كان الزمخشري أول من رتب الكلمات حسب الحرف الأول «وأخضع له الكلمات مبتدئا بحروفها الأولى، فالثانية، فالثالثة، فالرابعة، فالخامسة. وكان هذا أيسر ترتيب ابتكرته العربية، ولذلك التزمته المعاجم الحديثة».

 ويتفق هذا المعجم معه القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي (ت 817هـ)؛ في صغر الحجم والتركيز والإيجاز في عرض الدلالة التي يتعلق بها الجذر، وما يشتق منه.

 ومن أوجه التلاقي بين هذين المعجمين أيضاً؛ وهما أساس البلاغة، والقاموس المحيط؛ أن كلا مؤلفيهما من مفسري القرآن الكريم. فالزمخشري له تفسير (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، والفيروزابادي له تفسير (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز). وبذلك يكونان قد جمعا بين اللغة والتفسير.

أما ما انتبه إليه الزمخشري، دون غيره من المعجميين، فهو أنه كان أول من فرّق بين الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية لكثير من الألفاظ التي عرضها في معجمه، أو بتعبيره هو (المعنى الحقيقي والمعنى المجازي).

 وفي سبيل تأدية هاتين الدلالتين حشد الزمخشري؛ في كثير من جذوره التي عرضها؛ سياقات معروفة مشهورة في اللغة؛ وردت فيها الكلمة، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم، والحدث، والشعر العربي، والأمثال العربية، وبعض الأقوال المشهورة.

ونختار الجذرين التاليين دليلاً على هذا الاستشهاد وتأصيل الكلمات عنده.

**أولاً: رسو:**

جبل راسٍ، وجبال راسيات ورواسٍ، وأرساها الله تعالى. ورسا وترسى: ثبت، ورست السفينة: انتهت إلى قرار فبقيت لا تسير. وأرسوها بالمرساة، وهي الأبخر، ورست قدماه في الحرب؛ و(قدور راسيات) ؛ لا يستطاع تحويلها لثقلها، فهي في مكانها.

**ومن المجاز:**ما أرسى ثبير: ما أقام، وأصله من إرساء السفينة. وألقوا مراسيهم إذا أقاموا، وألقت السحابة مراسيها. قال زهير:

وأين الذين يحضرون جفانه ♦♦♦ إذا قدمت ألقوا لهن المراسيا

وقال آخر:

إذا قلت أكدى الودق ألقى المراسيا

ورسا الفحل بالشول إذا تفرقت، فصاح بها فاستقرت».

**ثانياً: عطن:**

«ضرب القوم بعطن، إذا أناخوا حول الماء بعد السقى، وفي الحديث: «حتى روى الناس وضربوا بعطن». والعطن والمعطن المناخ حول الورد، فأما في مكان آخر فمراح ومأوى. وقد عطنت الإبل عطوناً، وإبل عواطن وأعطنّاها. قال لبيد:

عافتا الماء فلم نعطنهما ♦♦♦ إنما يعطن من يرجو العلل.

وتقول: الإبل تحن إلى أعطانها، والرجال إلى أوطانها.

**ومن المستعار:**

فلان واسع العطن، إذا كان رحب الذراع. ويقال للمنتن البشرة: ما هو إلا عطين، وهو الإهاب الذي يعطن، أي ينضح عليه الماء ويطوي شعره. وقد عطن وعطنته».

 من عرض الزمخشري السابق لهذين الجذرين (رسو - عطن).

 نرى أنه يذكر الدلالة الحقيقية أو الأصلية لها أولاً، التي هي أصل وضعها وهي في الجذر (رسو) ثبت، وفي الجذر (عطن) أناخ الإبل. ثم يذكر بعض مشتقاتهما، من خلال القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي. ثم ينتقل إلى الدلالة المجازية، أو - كما سماها - الاستعارية، فيذكر أن (رسا) يوصف بها الجبل؛ وهو تعبير أو اصطلاح Midiom منقول من رسو السفينة؛ كما يطلق على صياح الفحل بالنوق. ويربط في كل هذا بين الدلالتين. وكذلك فعل في عرضه للجذر (عطن).

ورغم ذلك الشرح الدلالي لكثير من الجذور في هذا المعجم، إلا أنه لم يفعل ذلك في كل الجذور التي عرضها، بل أحياناً كان يقتصر على الدلالة الحقيقية فقط، دون ذكر الدلالة المجازية. ومن ذلك نختار المادتين التاليتين:

**بتت:**

«بتّ عليه القضاء، وبتّ النية جزمها، وساق دابته حتى بتها، وبته السفر، وسكران ما يبُت ويبِت، وهذه صدقة بتة بتلة. وخذ بتاتك أي زادك. وأنا عل بتات الأمر إذا أشرف عليه، قال: أبو محمد الفقعسي:

وحاجة كنت على بتاتها

وسار حتى أنبتَ أي انقطع، وانبت الرجل انقطع ماؤه من الكبر.

 قال:

لقد وجدت رثية من الكبر

عن القيام وانبتاتا بالسحر.

 ذكر الزمخشري في ذلك الجذر الدلالة الحقيقية له، وهي القطع والجزم والإجهاد، من خلال ما ذكره بين سياقات، ولم يتناول الدلالة المجازية، وهي موجودة، يمكن أن نستخرجها من (لسان العرب) لابن منظور، ومنها:

♦ أبتّ امرأته: طلقها طلاقاً بائناً.

♦ أبتَ اليمين: أمضاها.

♦ بتتْ: وجبت.

♦ الباتّ: المهزول.

♦ البتّ: الكساء الغليظ.

 ولننظر في الجذر التالي أيضاً:

**ركك:**

«رجل ركيك: ضعيف النحيزة فسل، ورك يرك ركة وركاكة. واقطع الحبل من حيث رك أي ضعف، واستركوا فاستجرأوا عليه. قال القطامي:

تراهم يغمزون من استركوا ♦♦♦ ويجتنبون من صدق المصاعا.

 ورجل ركيك وركاكة تستركه النساء فلا يهبنه، ولا يغار عليهن. ولُعن الركاكة، وما أصابنا إلا رك من مطر وركيك وركاكة. وما وقع إلا ركائك المطر، وأركت السماء وركت الأغلال في أعناقهم».

 نجده أيضاً في عرضه لذلك الجذر، قد ذكر الدلالة الحقيقية فقط وهي الضعف، من خلال السياقات السابقة، على حين أن هناك دلالة مجازية، يمكن استخراجها من لسان العرب، منها:

♦ ارتك: لم يبين كلامه.

♦ ركّ الرجل المرأة: إذا جهدها في الجماع.

♦ ركيك العقل: قليله.

♦ الركراكة: المرأة الكبيرة العجز.

♦ الركاء: صدى الصوت، أو بعبارة ابن منظور - الصيحة التي تجيئك من الجبل.

 وأحياناً أخرى يقتصر كلامه؛ في بعض الجذور؛ على جملة واحدة فقط؛ يستعين بها في شرح الكلمة المشتقة من هذا الجذر. ومن ذلك.

**ضهب:**

«لحم مضهب: مُلَهْوَج».

**طرن:**

«عليه خز طاروني: وهو ضرب منه».

 مع أن هناك مشتقات أخرى لهذين الجذرين، منها:

في جذر (ضهب):

♦ ضهبه بالنار: لوّحه وغيّره.

♦ تضهيب القوس والرمح: عرضهما على النار عند التثقيف.

 في جذر (طرن):

♦ طرين الشراب.

♦ طريموا: اختلطوا من السُكر.

فمثلًا: باب الدال، يبدأ بالفعل (دأب) وبعده ينتقل إلى (دأدَ و دأل إلى أن يصل إلى (دأيَ)، ثم ينتقل إلى ( د – ب ) مبتدئا ً بكلمة ( دبأ، دبَبَ ) وهكذا …

**طريقة المعجم من حيث شرحُه للكلمات:**

كان الزمخشريُّ أوّلَ مَن فرّقَ بين الدّلالة الحقيقية والمجازية لكثير من الألفاظ التي عرضها في معجمه، وفي سبيل هاتين الدّلالتين حشدَ – في كثيرٍ من جذوره التي عرضها – سياقاتٍ معروفةً مشهورةً في اللغة، وردَتْ فيها الكلمةُ وذلك من خلال آيات القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشّعر العربيّ، والأمثال العربيّة، وبعض الأقوال المشهورة.

**التوسّع الدّلالي:** حيث تولّى فيه ذكر المعاني المجازية للكلمات بعد ذكرِ معانيها الحقيقية.

وإليكم بعض الأمثلة المشروحة:

وردَ في باب الجيم كلمة (جأجأ) على النحو الآتي:

جأجأ: دفَعَهُ بجُؤجُؤه، وهو عظم الصدر، وقيل وسطهُ، وعليكَ بجآجئ الطير، قال الشاعر:

كعقيلةِ الأُدحيّ بات يحفّها \*\* ريشُ النَّعامِ وزالَ عنها الجؤجؤُ

ثم يتابع شرح الكلمة، منتقلًا إلى المعنى المجازي: ومن المجاز: شقّتِ السفينةُ الماءَ بجؤجُئها وحيزومِها. ثم يسوق لنا المعاني اللفظية والمجازية مدعّمًا كلامه بشواهد من القرآن الكريم وكلام العرب.

فمثلا عندما يذكر معنى كلمة (دأب)، يقول: دأبَ الرجلُ في عمله: اجتهد فيه. ودأبَت الدابّةُ في سَيرها دأَبَاً ودُؤوباً. وعن عاصم (تزرعونَ سبعَ سنينَ دَأَباً). ومن المجاز: هذا دَأْبُكَ أي شأنُكَ وعملُكَ (كدأْبِ آلِ فرعونَ). والليل والنهار يدأبان في اعتقابهما (وسخّرَ الشمسَ والقمرَ دائبين)، ثم يقول في معنى (دبَأ): كان رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم، يُحِبُّ الدبَّاء، وهو القرع. قال امرؤ القيس يصف فرسًا:

وإنْ أقبَلَتْ قلتَ دُبّاءةٌ \*\* منَ الخُضْرِ مغمورةٌ في الغُدُرْ

وجاء الزمخشري بمعنى جديد لكلمة (دبأ) بمعنى هدأ، يُقال: دبأتُ بالمكان، يعني هدأتُ وسكنتُ، كما قيل له: اليقطين، من قطَن. ثم يأتي على ذكر المعنى بمَثَل، فيقول: (ولا يغرنّكَ الدبّاءُ وإن كان في الماء) يُضرب للرجل الساكن الليّن الكثير الغائلة، وذلك أنه يدبّ حتى يعلو الشجرة الساحقة.

فانظر إلى كم المعلومات التي يوردها الزمخشري في شرحه للكلمة؟، ومدى اهتمامه بالمعنى المجازي للفظة، مفردة كانت، أم داخل سياقٍ محدد لها، ومن ثمّ اهتمامه بورودها في الشعر، والأمثال، وفي كل كلام العرب.

وفي ذكره لمعنى (جبَرَ) يقول: جبرَ المُجَبّرُ يدَهُ فجُبِرَتْ. قال العجّاج:

قد جبَرَ الدّينَ الإلهُ فَجَبَرْ. ومسَحَ على الجبابرِ ولبسَ الجبائرَ، وهي الأسوِرة، وقيلَ الدّماليج، والواحدة فيهما جِبَارة وجبِيرة. وذهبَ دمُهُ جُباراً، و (جَرْحُ العجماءِ جُبَارٌ). وهو جبّارٌ من الجبابرة، وقد تجَبّر، ووَيْلٌ لجبّارِ الأرضِ من جبّار السماء.

ثم ينتقل الزمخشري ليورد معنى الفعل ضمن حديث ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، فيقول: وفي الحديث: (دعُوها فإنّها جَبّارة) أي مستكبرة عاتية. وما كانت نُبُوّة ٌ إلاّ تنَاسَخَها مُلْكُ جَبَرِيّةٍ. أي إلا تجَبّرَ الملوكُ بعدَها. ثمّ ينتقل كعادته في بنائه لهذا المعجم، ليبيّن لنا أهمية المعنى المجازي، فيقول: ومن المجاز: نخلة ٌ جبّارةٌ، طويلةٌ تفوتُ اليدَ، وهي دونَ السَّحوقِ. وناقة ٌ جبَّارٌ: عظيمة، بغير تاء، وقد فسّر قوله تعالى: (قوماً جبّارين) بعِظامِ الأجرام. وقلب جبّار: لا يقبل موعظةً، وطلَعَ الجبّارُ أي الجوزاء لأنها في صورة ملك مُتوّج على كرسيّ. وجبَرَ اللهُ يُتْمَهُ، وجبَرْتُ الفقير: أغنيتُهُ، شبّه فقرَه بانكسار عظْمِه، وفي الدّعاء: اللهم اجبرنا.

**خصائص المعجم ومزاياه:**

1. لقد اتّبع الزمخشري، في تأليفه معجمَ أساس البلاغة، الطريقةَ الألفبائيّة، بترتيب الحروف بدءًا من الحرف الأول، فالثاني، ثم الثالث، وهذه الطريقة، بلا شك، أيسر وأسهل تناولاً من الطرق المتّبعة سابقًا، كالتقليبات والقافية.
2. ارتقى هذا المعجم باللفظة اللغوية من مستواها المعجمي إلى مستوى دلالتها المتنوعة بتنوع الموقف، وبهذا يكون قد تميّز عن غيره من المعاجم التي تجعل هدفَها الأول هو جمعَ المفردات وإحصاءَها.
3. إنّ أساس البلاغة باعتماده على التركيب والنّظم في تبيين دلالات الكلمات، هو مظهرٌ من مظاهر تطبيق الزمخشريّ لنظرية النّظم، التي أصبحَتْ من المسَلّمات عنده. وهذا مثال لتفسير الزمخشريّ الألفاظَ بالتراكيبِ: وردَ في مادة(روح): الملائكة خلق الله ِ الروحاني، ووجدت رَوْحَ الشمال، وهو برد نسميها وغُصْنٌ مَرُوْحٌ. ونقول: أراح فأراح، أي: مات، فالمستريحُ منه، وشرِبَ الراح، ودفعوه بالراح، وإنّ يديه لتراحان بالمعروف، وراحوا إلى بيوتهم رواحًا، ومن المجاز: ذهَبَتْ رِيحُهم، دولتُهم، وإذا هبّت رياحُكَ فاغتنِمها، ورجلٌ ساكن الرّيح: وقور، وتحابّوا بذكرِ الله وروحِهِ وهو القرآن (وأوحينا إليكَ روحًا). والرُّوحُ بالضمّ: ما به حياة الأنفس، ومَنْ يُروِّحْ بالنّاسِ في مسجدكم: يصلّي بهم التراويح.
4. اهتم بالاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف.
5. اهتم بالشواهد الشعرية، والأقوال المشهورة والأمثال المعروفة، وقد انفرد بذكر بعض الشواهد، إذ لم ترد في المعجمات التي سبقته.

**ومن خصائصه أيضًا:**

أنه اعتمد على المجاز وقام بتوظيفه في شرح الألفاظ، وقد تباهى (الزمخشري) بهذه الميزة في معجمه إذ قال: (ومنها قوانين فصل الخطاب ، والكلام الفصيح بإفراز المجاز، عن الحقيقة والكناية عن التصريح).

ومن الأمثلة التي ذكر فيها المجاز: قال في مادة (ف ع م): أفعَمتُ البيتَ طِيْبًا وأفعمتُهُ غَضَبًا. أي ملأتُه. وقد لجأ الزمخشري إلى ما سمّاه ( مجاز المجاز): فنراه يذهب بعيدًا ويغوصُ أكثر في معنى الكلمة. فمثلا من المجاز: كم مسافةُ هذه الأرض، وبيننا مسافة ُ عشرين يوما، وفلانٌ يقتاتُ السّوفَ: أي يعيش بالأماني. ومن مجاز المجاز، قولُ ذي الرمّة:

**وأبعدُهم مسافةَ غَوْرِ عَقْلٍ \*\* إذا ما الأمرُ ذو الشّبُهاتِ عالا**

ففي المثال الأول، كان المجاز فيه ينصبّ على المسافة أو البعد بين الشيئين أو الأماني، أما في مجاز المجاز عند ذي الرمّة فنجده قد أسنده إلى العقل وطريقة التفكير.

لقد كان من عناية الزمخشري بالمجاز أنّهُ أفردَ له قسمًا خاصًا في أكثر الموارد ،[[10]](https://www.hnjournal.net/3-4-20/#post-3413-footnote-10) وكذلك فلقد أشار إلى الكناية في باب المجاز، ومنه ما ورد في مادة (ب د ): استبدّ الأمرُ بفلان: إذا غلبَهُ فلم يقدر على ضبطه. ومن ناحية أخرى فقد وظّف السجع في شرح بعض الألفاظ وذلك لهدفٍ تعليميّ، مثل قوله: (بلاه بالسّقام، ورماه بالدّاء العقام).

**المآخذ عليه:**

- عنايته بالجانب المجازي جعله يُغفلُ ذِكرَ الكثير من المواد اللغوية التي اشتملت عليها المعجمات الأخرى، إما لأنها قليلة الاستعمال، أو لأنها لم تكتسب دلالات مجازية للسبب نفسه وهو قلة استعمالها.

- لم يُعْنَ بتحديد نوع المجاز، ولم يكن يوازن بين الاستعمالات المجازية المتعددة، إ ذ لا يعرضه بعنوان واحد، بل يعرضه بعناوين متعددة، (ومن المجاز) ومن (الكناية)، (ومن المجاز والكناية).

- وُجد اضطرابٌ، وتداخلٌ بي المواد الثلاثية والرباعية، كما لوحظ اضطراب بين المعتل الواوي واليائي، واضطراب في الترتيب.

**خاتمة**:

كان هذا عرضًا موجزًا لمعجم (أساس البلاغة) للإمام الزمخشريّ رحمه الله، ونلخّص أهم النّقاط التي وردت:

* معجمٌ لغويٌّ اعتنى بالجانب البلاغي، عناية لم يسبقه إليها أحد.
* اعتمد الترتيب الألفبائي، الأسهل والأكثر تداولًا.
* اهتم بالاستشهاد بآيات القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة.

- لاقى قَبولًا واسعًا، والقليل من وجّهَ إليه سهام النقد.

لقد ألّفَ الزمخشريُّ معجمَ (أساس البلاغة) في أواخر حياته، ما يعني أنه صبّ جُلّ معرفته وخبرته وتجوالِه في هذا الكتاب، إذ يقول: (وطِئتُ كلّ بلادِ العرب)، ومنه نستنتج أنّ الزمخشري أدركَ أنّ مهمة اللغة هي حُسْنُ البيان والتبيين ، واللغة مجالٌ خصب يُثْرَى ويُطَوّرُ، بالإضافة إلى إحساسه في نفسه بمقدرة كبيرة في اللغة، جعلته يتجرّأُ ويكتبُ وينتقي الجيد من الكلام ويحكم عليه بالبلاغة أو الفصاحة بكل ثقةٍ و رزانة وهذا الأمرُ يحتاجُ إلى فقهٍ وشجاعةٍ، ولولا وجود كلّ ذلك عند الزمخشري لما أثبتَ ذلك في البلاغة.

كان معجم (أساس البلاغة) حدثًا جديدًا في التأليف ، ولم يتعرّض للقدح أو الذمّ إلا في نواحٍ تكادُ لا تُذكر.

كما كان أساسُ البلاغة توجّهًا جديدًا في شرح كلام العرب وفهم آيات كتاب الله.

فمعجم (أساس البلاغة) جمع الفائدة والمتعة في آنٍ معًا ، ويسّر الصّعب وأزال الإبهام عن

كثير من الألفاظ بشرحها بلاغيًا.

إنّ توسّطُ حجمه وما حواه بين دفّتيه من البلاغة أعطَوه سرعةً في الانتشار والقَـبول، ولذلك فمن الضروري اقتناؤه لدى دارسي اللغة، ولا سيّما البلاغيين.